مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٣)، العدد (٢)، ص ص ٤٨٩-٥٢٧ (يوليو ٢٠١٠م / رجب ١٤٣١هـ.)

عادات القرآن اللغوية والموضوعية
"عرض ودراسة"

د. شافي سلطان العجمي
كلية الشريعة ـ جامعة الكويت

(قدم للنشر ١٤٣١/٤/٢٠هـ؛ وقبل للنشر ١٤٣١/٧/٣هـ)

ملخص البحث. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

فإن العادات اللغوية والموضوعية تشترك مع غيرها من العلوم كالوجوه والنظائر والمترادفات والمشتركات في النظر في الألفاظ المتقاربة أو المتشابهة، ووجه الاشتراك في تتبع المفردات فقط أما الوصول إلى قاعدة مطردة أو أغلبية فلا يوجد إلا في العادات اللفظية والمعنوية، وأما الكليات فإن الاشتراك بينها وبين العادات من حيث العادات اللفظية التي تذكر عند أصحاب الكليات فقط وهم يبحثونها من حيث اللغة.

وقد بدأ هذا العلم مبكرا في زمن الصحابة والتابعين للدلالة على أهميته والحاجة إليه، ثم تطور حتى دخل مع المفسرين وتناولوه بالبحث والمناقشة ثم انتقل إلى أهل اللغة ومن هذين الفريقين انتشر حتى صار فنا من فنون علوم القرآن.

كانت العناية بالعادات اللغوية أكثر من العناية بالموضوعية وهذا لا يعني الجهل بها بل إنها تشبه من بعض الوجوه كثيرا من العلوم التي لم تدون في الزمان الأول لعدم الحاجة إليها كالنحو والأصول، ولا يدرك أهمية العادات القرآنية إلا من جربها ومارسها ومن أراد أن يعرف ذلك فلينظر إلى العارف بالقواعد الفقهية والأصولية وانتفاعه بهما.

وتتم معرفة العادات القرآنية من خلال طريقين أحدهما علمي والآخر عملي يدوران حول الأخذ عن الأولين والاجتهاد، وقد تناولنا عددا من العادات اللفظية وقد بلغت خمسة وعشرين مفردة وفيها المطرد وغيره والمفردات كثيرة قد ذكر أكثرها الكفوي في الكليات وحصرها صعب جدا.

وقد حاولت أن أضبط العادات المعنوية فجعلتها في ثلاث عادات:الأولى:عادة القرآن في الاقتران: وجعلتها على قسمين اقتران الكلمتين والموضوعين.الثانية:عادة القرآن في التقرير: وجعلتها في ستة أشياء التوحيد والنبوة والبعث والأحكام الشرعية والمجادلة والسياسة.الثالثة: عادة القرآن في الأخبار: وجعلتها في أخبار الآخرة وأخبار الدنيا. ولا زال الباب مفتوحا للباحثين لبيان المعاني المتروكة، والله أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن تتبع ألفاظ القرآن ومعانيه المتفقة للخلوص إلى عادة قرآنية في هذا اللفظ أو المعنى من أعظم ما يدل على الفهم والتدبر، وقد كان كثير من المفسرين يتتبع هذه الألفاظ أو المعاني ليخلص إلى ذلك قائلا: كل ما ورد في القرآن في كذا فهو يدل على كذا، وهو جهد مشكور لدلالته على الحكم المطرد أو الغالب في اللفظ أو المعنى، وهو يشبه من حيث الوسائل والآثار القواعد الأصولية والفقهية التي يعتمد عليها الأصوليون والفقهاء للوصول للحكم الأصولي والفقهي بناء على تلك العادة الأغلبية أو المطردة.

وقد صنف أهل العلم في بعض علوم القرآن- التي تندرج مع العادات تحت أصل عام وهو تتبع المفردات- مثل الوجوه والنظائر والكليات للكفوي وبصائر ذوي التمييز والمترادفات والمشتركات اللغوية والأفراد، وأما المفسرون فإنهم يشيرون أحيانا لمواطن الكليات سواء كانت في الألفاظ أو المعاني، وبعض المفسرين يشير إليه في ثنايا حديثه عند الترجيح بين أقوال المفسرين[١]، ولكنهم لم يشيروا إلى عادة القرآن في مقدماتهم إلا ما كان من الطاهر بن عاشور، فإنه أكثر المفسرين عناية بعادات القرآن في تفسيره، وقد قال في المقدمة العاشرة من تفسيره ما نصه: " يحق على المفسر أن يتعرف عادات القرآن من نظمه وكلمه. وقد تعرض بعض السلف لشيء منها، ثم قال: وقد استقريت بجهدي عادات كثيرة في اصطلاح القرآن سأذكرها في مواضعها[٢]".[٣]

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- لعادات القرآن أثر ظاهر عند المفسرين في الترجيح بين الأقوال والتمييز بين القول الذي دلت عليه عادات القرآن دون غيره، بل إن الاستدلال بعادات القرآن شاع عند المتكلمين في العقائد.

٢- بيان إعجاز القرآن في اختيار المفردات اللغوية واتفاق معانيها مع كثرة تكررها واختلاف سياقها.

٣- معرفة حسن الاستدلال والعرض للحجج والبراهين من خلال النظر في عادات القرآن.

الدراسات السابقة: تنقسم الدراسات السابقة إلى قسمين:

القسم الأول: كتابات السابقين سواء كانت في التفسير أو علوم القرآن، وكانت تشير إلى شيء يسير من هذه العادات، مثل التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور والكليات للكفوي ورسالة الأفراد لابن فارس، وفي كتب

---

(١) أورد الدكتور حسين الحربي في كتابه قواعد الترجيح عند المفسرين عادة عنوانها: «حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى»وذكر المفسرين الذين يستخدمونها.

قواعد الترجيح للحربي (١٧٢/١).

(٢) تتبعناها بحمد الله وذكرناها في هذا البحث.

(٣) التحرير والتنوير (١٢٤/١).

التفسير أيضا ولاسيما الطبري والفخر الرازي، وغيرهم من المفسرين الذين اعتنوا بهذا الجانب وهم قليل، ومن الكتابات أيضا ما كتبه ابن تيمية وابن القيم في هذا الباب وهو كثير، وقد حاولت أن أحشد أكثر ما ذكروه وأزيد عليه ما حضرني من العادات اللغوية والموضوعية.

القسم الثاني: كتابات المعاصرين للعادات اللغوية فقط دون العادات الموضوعية، وذلك في ضمن مباحث من علوم القرآن مثل أ.د.علي العبيد ود.مساعد الطيار، وسموها كليات وأشاروا إلى تعريف الكليات وبعض من ألف فيها وأمثلة على ذلك، وبعد الفراغ من البحث وقفت على رسالة ماجستير للطالب بريك القرني وعنوانها"كليات الألفاظ في التفسير"، وقد ذكر فيها عددا من الألفاظ وتناولها بالدراسة، وأما في هذا البحث فقد ذكرت من العادات اللغوية الكثير الذي لم يذكره، ولم يتحدث عن العادات الموضوعية ولم يذكر طرق التعرف على عادات القرآن.

مشكلة البحث: يعالج البحث موضوع العادات القرآنية من حيث طرق الوصول لها، وتقسيمها إلى مطردة وأغلبية وهذا أمر وعر ولاسيما في العادات الموضوعية التي لم يتطرق إليها إلا قليل، وكيفية النقد لما ذكره المفسرون، وكيفية الاستفادة منه في الترجيح بين الأقوال، وهو موضوع بكر.

منهجي في البحث: اتبعت المنهج الاستقرائي القائم على تتبع الألفاظ والمعاني القرآنية في جميع القرآن والنظر في أحكام المفسرين، والتدليل على ذلك بمثالين ثم الحكم على ذلك، وبيان وجه كون ذلك من عادات القرآن اللغوية والموضوعية على وجه الإيجاز، وقد اقتصرت في الحواشي على تخريج الآيات والأحاديث ونقول أهل العلم دون ذكر التراجم لضيق المساحة المحددة للبحث ولشهرتهم.

جديد البحث: تأصيل هذا الفن"عادات القرآن اللغوية والموضوعية" وترتيبه وتقسيمه وبيان طرق استعماله، وبيان التعليل لما ذكره السابقون والتحليل والنقد له، وقد زدت أشياء كثيرة لم أقف على من سبقني إليها ولاسيما في العادات الموضوعية، وقد اقتضى مضمون البحث أن يسير على النحو الآتي:

- **مقدمة:** وقد مضت بين يدي البحث
- **تمهيد:** يتضمن الحديث عن تعريف عادات القرآن والألفاظ ذات الصلة وتاريخ هذا العلم وأهميته.
- **المبحث الأول:** يتضمن الحديث عن طرق معرفة عادات القرآن.
- **المبحث الثاني:** يتضمن الحديث عن أنواع عادات القرآن.
- **خاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

أولاً: تعريف عادات القرآن

لغة: عادات جمع عادة وهي مصدر للفعل عاد يعود، أي رجع ومعنى العادة: الملازمة للشيء حتى يكثر الرجوع إليه، ومنه العيد تفاؤلا بالرجوع إليه في القابل من العمر.

ولفظة "عاد" وما اشتق منها في القرآن تدور حول الرجوع[٤] كقال تعالى: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾[٥]، وقال: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾[٦]، وأما عادة القرآن اصطلاحا فلم أجد من عرفها من المتقدمين، ولذلك اجتهدت في وضع تعريف لها من خلال استعمالات المفسرين.

عادة القرآن اصطلاحاً: ما تكرر كثيراً في القرآن لفظاً أو معنى وكان على أسلوب واحد.

شرح التعريف: "ما تكرر": خرج بذلك ما ورد مرة مثل كلمة «شوباً» في قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾[٧].

"كثيراً" خرج بذلك ما تكرر مرتين أو ثلاثاً فلا يطلق عليه عادة.

"لفظاً" هذا بيان للنوع الأول من أنواع العادة القرآنية، وهي تكرار الألفاظ ذات المدلول المتفق.

"أو معنى" هذا بيان للنوع الثاني من أنواع العادات القرآنية، وهي اقتران موضوعين مثل ذكر الألوهية بعد الربوبية.

"وكان على أسلوب واحد " وهذا احتراز من المكررات الخالية من سياقها، كالوجوه والنظائر والمترادفات والمشتركات اللغوية والمفردات المكررة، ومقصودنا بالأسلوب: السياق المتضمن للسباق واللحاق، كذكر الجنة والنار، والترغيب والترهيب، والألوهية والربوبية، والحمد والمجد، وستأتي على التفصيل.

وعلم ما تقدم أنه لا يشترط في العادة أن تتفق في كل مواضعها، بل يكفي تكررها كثيراً، والسبب في تخلف العادة في بعض المواطن انسياق المعنى وراء السياق الذي يجبر الألفاظ أن تتجه وجهة السياق ولو كانت في مواطن أخرى تدل على معان أخر.

ثانيا:الألفاظ ذات الصلة

الأول: التكرار: ويراد به ما تكرر في القرآن ولو مرتين من حرف أو كلمة أو جملة في سياق متفق أو مختلف، ويعتني به بعض المفسرين لبيان الفروق بين تلك الكلمات في مختلف السياقات، ومن أشهر من اعتنى به محمود بن حمزة الكرماني في كتابيه أسرار التكرار في القرآن ومتشابه القرآن، وهذه مثال " إن قيل: كيف جاء ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أربع مرات

---

(٤) انظر: مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، وانظر في معنى العادة الصحاح للجوهري(٧٦/٣)، وتاج العروس للزبيدي(٤٣٣/٨).

(٥) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٦) سورة الإسراء: ٨.

(٧) سورة الصافات ٦٧/٧.

بغير واو ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾[٨]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾[٩]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[١٠]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ ﴾[١١]، ثم جاء ثلاث مرات بالواو: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾[١٢]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾[١٣]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾[١٤]، قلنا لأن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقا، وعن الحوادث الأخر وقع في وقت واحد فجئ بحرف الجمع دلالة على ذلك.)[١٥]، ومن ذلك ما كتبه الأصفهاني في معجم غريب القرآن، وعمله في كتابه بيان معاني كلمات القرآن وتصاريفها في القرآن: مثاله: أج: - قال تعالى: ﴿ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾[١٦]: شديد الملوحة والحرارة، من قالم: أجيج النار وأجتها، وقد أجت، وائتج النهار، ويأجوج ومأجوج منه، شبهوا بالنار المضطرمة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم وأج الظليم: إذا عدا أجيجا تشبيها بأجيج النار[١٧]، ومن ذلك كتاب الأفراد لابن فارس ومجمله يتعلق بالكليات اللغوية الواردة في القرآن.

مثاله: وكل ما فى القرآن من ذكر البروج فإنها الكواكب كقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ إلا التى فى سورة النساء: ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ فإنها القصور الطوال المرتفعة فى السماء الحصينة[١٨].

الثاني: الوجوه والنظائر: ويراد بها ما اتفق لفظه واختلف معناه، ويسمى كل معنى وجها، ومعنى النظير الشبيه فتقول القتال نظير الجهاد، وهو ما اتفق معناه واختلف لفظه، وأول من تكلم فيها مقاتل بن سليمان ثم تبعه الناس مثل هارون بن موسى و المبرد و الرازي و الدامغاني و ابن الجوزي و ابن العماد

والسيوطي، ومثال ذلك ما جاء في نزهة الأعين: " باب الأسف: الأسف: الحزن الشديد على الشيء والتلهف عليه، يقال: أسفت آسف آسفا، إذا لهفت والأسف: الغضبان، وذكر بعض المفسرين أن الأسف في القرآن على وجهين: أحدهما: الحزن، ومنه قال تعالى في الأعراف: " وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ

(٨) البقرة:١٨٩
(٩) البقرة:٢١٥
(١٠) البقرة:٢١٧
(١١) البقرة:٢١٩
(١٢) البقرة:٢١٩
(١٣) البقرة:٢٢٠
(١٤) البقرة:٢٢٢
(١٥) متشابه القرآن (١٣٠/١)
(١٦) الفرقان:٥٢
(١٧) (١٥/١)
(١٨) البرهان للزركشي١٠٥/١

أَسِفًا"[١٩]، ومثله : " يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ " [٢٠].والثاني : الغضب ، ومنه قوله تعالى في الزخرف : " فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُم "[٢١]، أي : أغضبونا[٢٢].

الثالث : المترادفات : أن تكون أسماء لشيء واحد ، وهي مولدة ومشتقة من تراكب الأشياء[٢٣]. ومن أمثلة ذلك السيف والمهند والصارم ، وقد منعه ابن الأعرابي وثعلب وابن فارس ، وخالفوا جمهور أهل اللغة ، ومن أمثلة الترادف في القرآن : فر وهرب و ناص وأبق ، قال تعالى : "فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ" [٢٤].

وقال تعالى : "إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ" [٢٥]، وقال تعالى : "وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا" [٢٦]، وقال تعالى : "وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ" [٢٧]. ومدار هذه الكلمات الأربع على الخروج من موضع إلى آخر مع الخوف والاضطراب ، وإن كان كل معنى منها يتضمن معنى لا يوجد في غيره[٢٨].

الرابع : المتشابهات : جمع متشابه وهو ما تشابه لفظه في القرآن وتكرر سواء اتفق معناه أو اختلف ، وعلى ذلك فهو أشمل من سابقيه ، ومن أمثلة ذلك تكرار قصة آدم واختلاف ألفاظها في كل موضع ، ويتناولها العلماء لبيان الفروق بين كل موطن ، وأكثر من يعتني به الحفاظ لئلا يلتبس عليهم ما تشابه من القرآن[٢٩].

الخامس : المشترك اللفظي : وهو ما اتفق لفظه واختلف معناه ، والفرق بينه وبين الوجوه والنظائر أن الاشتراك يكون في اللفظ الواحد في السياق الواحد ، والوجوه تكون في سياق آخر مثل القرء والنسيان[٣٠].

السادس : أسلوب القرآن : وهو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ، وقد أشار إلى ذلك الزرقاني في مناهل العرفان ، وكل ما ذكره داخل في الإعجاز اللغوي ، وقد أشار إلى خصائص الأسلوب القرآني ولم يتطرق إلى ما تكرر من الألفاظ والمعاني ، وأقرب ما يشير إليه الأسلوب البلاغي في القرآن.[٣١]

وبعد ذكر الألفاظ المتصلة بالعادات القرآنية نخلص إلى أن العادات القرآنية تختلف عنها.

---

(١٩) الأعراف: ١٥٠.

(٢٠) يوسف:٨٤.

(٢١) الزخرف:٥٤

(٢٢) نزهة الأعين لابن الجوزي(٩١/١)

(٢٣) تاج العروس للزبيدي مادة ردف

(٢٤) المدثر:٥١

(٢٥) الصافات:١٤٠

(٢٦) الجن:١٢

(٢٧) ص:٣

(٢٨) الترادف في القرآن ص١٣٦.

(٢٩) انظر سبيل الإتقان لمتشابه القرآن فقد أتي على جميع المتشابهات في القرآن وغيره كثير.

(٣٠) انظر الاشتراك اللفظي لمحمد نور الدين المنجد ص٢٩

(٣١) انظر مناهل العرفان للزرقاني (١٩٨/٢)المبحث السادس عشر

ثالثاً: تاريخ هذا العلم وتطوره

تعود الدلائل الأولى المشيرة إلى هذا العلم إلى نصوص الصحابة رضي الله عنهم الواردة

في التفسير، وهذه النصوص تدور حول بيان تكرر ألفاظ بعينها، وهذه بعض الأمثلة: عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن كاد وأكاد فإنه لا يكون أبداً[٣٢]، و عن ابن مسعود: «كل شيء في القرآن يا أيها الناس أنزل بمكة وكل شيء في القرآن يا أيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة»[٣٣]، وعن أبي بن كعب قال: «كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب»[٣٤]، ونلاحظ

مما سبق أموراً: أولها: تتبع الصحابة رضي الله عنهم لألفاظ القرآن، وهذا يشكل البدايات الأولى للتفسير الموضوعي، وثانيها: أن الكلمات المذكورة لا تخلو من حروف أو أفعال أو أسماء، وهذا يكشف الإحصاء الدقيق، و ثالثها: أن ما تركه الصحابة من الحروف والأفعال والأسماء يفوق الحصر.

و رابعها: عدم ذكر المواضيع المقترنة ببعضها مثل الترغيب والترهيب والصلاة والزكاة والألوهية والربوبية وغيرها، ولعل السبب في ذلك أنها ليست دائمة بل غالبة أو أنهم لم يسألوا عنها.

وإذا كان الصحابة قد وضعوا البدايات الأولى لهذا العلم فإن التابعين كذلك اعتنوا به

عناية بالغة، فجاءت عنهم الروايات الكثيرة حول عادات القرآن اللغوية ومن ذلك: عن إبراهيم النخعي قال: كل شيء في القرآن "أو" بالخيار[٣٥]، وعن عمرو بن دينار قال: كل شيء في القرآن فيه "أو" له أية شاء[٣٦]، وعن عطاء قال: كل شيء في القرآن فيه "أو" له أية شاء[٣٧].

وبعد هذين الجيلين تطور هذا الفن، وصار مقررا في أبواب كثيرة من العلم، وقد رتبت الأبواب التي تطرقت لبعض العادات القرآنية على النحو الأتي:

١- كتب التفسير: وأولها جامع البيان للطبري وقد اعتنى بالعادات اللغوية والموضوعية، أما اعتناؤه بالعادات اللغوية فكان في ذكر الآثار الواردة في ذلك عند كل موضع، وهي كثيرة وتستحق الدراسة المفردة لأنها تجاوزت المئات، وأما اعتناؤه بالعادات الموضوعية فيذكرها كثيرا عند الترجيح بين الأقوال، وقد ذكرت كثيرا من ترجيحات الطبري في رسالتي للماجستير في أصول الترجيح في تفسير الطبري، ثم تتابع المفسرون على ذكر العادات

---

(٣٢) الإتقان (٤٩٠/٢).

(٣٣) الدر المنثور للسيوطي (٨٤/١).

(٣٤) النكت والعيون للماوردي (١٤٨/٤)، البدر المنثور للسيوطي (٣٩٦/١).

(٣٥) المبسوط للشيباني (١٩٧/٣).

(٣٦) أحكام القرآن للشافعي (١٢٨/١).

(٣٧) أحكام القرآن للشافعي (١٢٩/١).

اللغوية كالرازي وهو من المكثرين، وكذلك بعض المشتغلين في علم التفسير كابن تيمية وابن القيم فقد أكثرا وأحسنا في هذا الباب أيما إحسان.

٢- كتب اللغة: ووجه اشتغالها بذلك محاولة التوصل لمعاني الكلمات القرآنية من خلال تتبعها في مواضعها، ويمكن أن يكون الأول في ذلك ابن فارس الذي كتب رسالة الأفراد الخاصة ببعض العادات اللغوية، ومن أجود المصنفين في ذلك الراغب الأصفهاني في مفرداته، وخاتمة اللغويين الكفوي في الكليات فقد جاء بكل قليل وكثير من الكليات اللغوية.

٣- كتب علوم القرآن: وقد أشار المؤلفون في علوم القرآن إلى ذلك في مباحث كتبهم كالزركشي والسيوطي، ومنهم من أفرد بعض مباحث علوم القرآن كالمكي والمدني، وتناولوا عادات القرآن في المكي والمدني.

ونلاحظ أن هذه الكتابات تشترك في ترك العادات الموضوعية، ولعل السبب في ذلك يعود لأمور:

١- أن المتقدمين ولاسيما في عصر الصحابة والتابعين لم يشيروا إلى ذلك، وسبب ذلك عدم السؤال عنها في زمانهم أو عدم الحاجة إليها، وقد كانوا يقتصرون في العلم على ما يسد الحاجة دون الترفه بتطويل المسائل والمباحث والفصول.

٢- أن جمعها والحكم فيها مما يتفاوت الناس فيه فقد يكثر الموافقون أو المخالفون.

٣- أن العادات الموضوعية تعتمد على معرفة التفسير، والناس في التفسير على طرق في الاستنباط والمعنى.

رابعاً: أهمية هذا العلم

تعود أهمية هذا العلم إلى أهمية تفسير القرآن بالقرآن، ولا ريب أن التفسير بعادة القرآن نوع من أنواع التفسير بالقرآن، وعند التأمل في هذا المصطلح نجد أن منه توقيفي وهو قليل، ومنه اجتهادي وهو كثير، وهذا الاجتهادي قد يكون راجحا وقد يكون مرجوحا، وضابط ذلك أن يقال: كلما كانت العادات مطردة أو غالبة كان راجحا، وكلما كانت بخلاف ذلك كانت مرجوحة.

والأمثلة التي تبين أهمية عادات القرآن كثيرة، وقد اكتفينا بذكر المسائل دون الآيات الواردة في ذلك إلا في موضع واحد خشية الإطالة.

١ – عادة القرآن تبين المقصود من الآية: وذلك كمعرفة المغضوب عليهم والضالين والمتقين والغيب والذين كفروا والمرض والفساد وغيرها كثير، لأن عادة القرآن أن المغضوب عليهم والضالين هم اليهود والنصارى كما في مواضع عديدة تبين غضب الله على اليهود وضلال النصارى، وكذلك معنى المتقين في القرآن الالتزام بالأوامر والنواهي، ومعنى الغيب في القرآن هو غيب الآخرة، والمراد بالذين كفروا في القرآن أي كفروا بألوهية الله وبالنبوة، وإذا ذكر المرض في القرآن فمعناه المرض المعنوي إلا إذا دل السياق على المرض الحسي، وكذلك الفساد.

مثال ذلك : الجهاد في القرآن : عند النظر في عادة القرآن في ذكر الجهاد نجد أن الجهاد إذا اقترن بقوله" في سبيل الله" أو "بأموالهم وأنفسهم" فإن المقصود به الجهاد الشرعي بالسلاح ، وإذا لم يقترن به ذلك فيحتمل الجهاد الشرعي ويحتمل الجهاد اللغوي وهو بذل الوسع ، وهذه أمثلة تدل على

ذلك : قال تعالى : ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ (٣٨)، وقال تعالى : ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾(٣٩)، وقال تعالى﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ (٤٠).

٢ – عادة القرآن تعين على معرفة الراجح من أقوال المفسرين : وذلك كمعرفة الصراط المستقيم والفقراء و المساكين والرفث والحكمة والرشد والسعي والتأويل والسفهاء والصابئين وغيرها كثير، لأن الناظر في أقوال المفسرين يجد اختلافا كثيرا في هذه الكلمات ، ولو تتبعنا عادة القرآن فيها لتبين لنا المعنى ، فالصراط المستقيم هو دين الله الحق ، والفقراء والمساكين هم أهل الحاجة ، والمساكين أحسن حالا من الفقراء ، والرفث : الوطء ودواعيه ، والحكمة : سنة الأنبياء ، والرشد : الإصلاح ، والسعي : الإقبال على الشيء ، والتأويل : حقيقة الشيء ، والسفهاء : أهل النقص في التصرف ، والصابئون : فيهم شبه باليهود والنصارى ، وسنأخذ مثالا من تفسير الطبري يبين أثر عادات القرآن في الترجيح بين الأقوال ، يقول الطبري : " وأما قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، ثم قال : والقول الأوّل ، أعني قول مجاهد ، أولى القولين في ذلك بالصواب ، وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله في عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم ، لا أنهم يشركون بالشيطان ثم قال : إلا أن يوجه موجه معنى الكلام ، إلى أن القوم كانوا يدينون بألوهية الشيطان ، ويشركون الله به في عبادتهم إياه ، فيصحّ حينئذ معنى الكلام ، ويخرج عما جاء التنزيل به في سائر القرآن ، وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله)(٤١). ونلاحظ استدلال الطبري بالعادات الموضوعية للترجيح بين الأقوال.

٣ – عادة القرآن توضح وجهاً من أوجه الإعجاز القرآني : وذلك أن القرآن نزل منجما على حسب الأحداث والوقائع ، وكانت الآيات المتعددة تنزل في الشيء الواحد تارة في سورة واحدة ، وفي سورتين أو أكثر تارة أخرى ، وإذا كان الأمر كذلك فإن اتفاق الآيات المتعددة في سور متعددة في أزمنة مختلفة على معنى واحد ، أو أسلوب واحد من أعظم الدلائل على إعجاز هذا القرآن ، مثل أن تتفق ألفاظ الآيات على أن "هؤلاء"يراد بها كفار مكة ، أو تتفق معاني الآيات على الاقتران بين ذكر التفكر في ملكوت السموات والأرض وذكر الإعراض عن الحق.

(٣٨) النساء:٩٥

(٣٩) الفرقان:٥٢

(٤٠) التوبة:١٢٣

(٤١) جامع البيان١٧/٢٩٦

٤ – عادة القرآن تكشف أحسن وجوه الاستدلال: وهذا مطرد في استدلالات القرآن على التوحيد والبعث والنبوة ونقض الشرك، من ذلك: أن عادة القرآن في الاستدلال على توحيد العبادة هي الانتقال من المتفق عليه إلى المختلف فيه فيذكر الربوبية ثم الألوهية، وكذلك في الاستدلال على البعث يذكر دائما إحياء الأرض بالماء وضرب المثل به.

٥ – عادة القرآن تعين على معرفة المكي والمدني من القرآن: وهذا من أحسن الطرق للتمييز بين المكي والمدني، ولاسيما في السور المختلف فيها كالصف والجمعة والإنسان والقدر، وذلك أن المكي له عادات في القرآن مثل ذكر قصص الأنبياء وما فيه سجدة أو كلا، وكذلك المدني له علامات مثل ذكر الذين آمنوا والأحكام وغيرها[٤٢]، وعلى ذلك فإن سورة الصف مدنية لذكر اليهود والنصارى والجهاد، وسورة الجمعة مكية لذكر النبوة وصلاة الجمعة، وسورة الإنسان مكية لذكر انقسام الناس ومصيرهم، وسورة القدر مكية لشبهها بسورة الدخان، وسورة العاديات مكية لذكر البعث.

المبحث الأول: طرق معرفة عادات القرآن

المطلب الأول: التنصيص عليها من المفسرين

لقد اعتنى المفسرون بذكر عادات القرآن اللغوية والموضوعية عناية كبيرة، يشهد لذلك تنوع العبارات الدالة على ذكر العادات، وأيضا كثرة الاستدلال بها في مواطن كثيرة، مما يبرز دور العادات في استنباط المعاني القرآنية، واستعمالها في الترجيح بين الأقوال عند النزاع بين المفسرين وغيرهم.

والمفسرون الذين ينصون على عادات القرآن كثيرون، وفيهم المستقل والمستكثر، ومن أقدم من وقفت عليه ينص على عادات القرآن الرازي في تفسيره، ومن أمثلة ذلك قوله: الاستدلال على وجود الصانع بالخلق أولاً ثم بالهداية ثانياً عادة مطردة في القرآن[٤٣]، وقال: وعادة القرآن جارية بأنه إذا ذكر قضية كلية عطف عليها ببعض جزئياتها تنبيهاً على كونه أعظم جزئيات ذلك الكلي[٤٤]، وقال: عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين[٤٥]، وقال: الطريقة المعهودة في القرآن أنه تعالى لما كان قادراً على الابتداء كان قادراً على الإعادة[٤٦]، وتارة يسمي العادة عرف القرآن[٤٧].

---

(٤٢) انظر الإتقان للسيوطي(٤٧/١).

(٤٣) تفسير الرازي (٧٣/١٧).

(٤٤) تفسير الرازي (٦٦/٢١).

(٤٥) تفسير الرازي (٢١٥/٢٦)، وانظر: (١٩/٢)، (١٥/١٧)، (٧٠/٧)، (١٩٨/٢٨).

(٤٦) تفسير الرازي (١٢٥/٣٠)، (٣٨١/٦)، (٤١٥/٩)، (٢١٨/١٧)، (١٩٨/٢٨).

(٤٧) انظر تفسير الرازي (١٤٢/٤)، (٧٠/٧)، (١٢٩/٧)، (١٧٣/٧)، (٣/٢٧).

ثم يتلوه في التنصيص على عادة القرآن ابن تيمية في مصنفاته وهو يسميها طريقة القرآن، كقوله: «إذا تدبر اللبيب طريقة القرآن وجد أن الله يدعو عباده...» (٤٨)، وقال: «كانت طريقة القرآن وهي طريقة السلف والأئمة أنهم لا يستعملون في الإلهيات قياس تمثيل وقياس شمول...» (٤٩).

وقد عد صاحب العقود الدرية مصنفاً لابن تيمية اسمه: «عادة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية»(٥٠)، ويتلوه البيضاوي وهو مقل من ذكره عادة القرآن(٥١)، ويتلوه ابن قيم الجوزية وهو من المكثرين من عادة القرآن و مرادفاتها، ولم أجد نظيراً له في استخدام عادة القرآن ومرادفاتها إلا الطاهر بن عاشور، وابن القيم رحمه الله تارة يسميها عادة القرآن(٥٢) وتارة يسميها طريقة القرآن(٥٣) وتارة يسميها الطريقة المعهودة(٥٤) وتارة يسميها عرف القرآن(٥٥).

ومن هؤلاء الذين استعملوا عادة القرآن ابن كثير ولم أجد له إلا موضعاً واحداً(٥٦)، وبعد هؤلاء انتشر استخدام عادة القرآن ومن أبرز المستعملين لها البقاعي(٥٧).

ثم يأتي بعد البقاعي الزركشي(٥٨) والسيوطي(٥٩) والألوسي(٦٠) والزرقاني(٦١) والسعدي(٦٢) والطاهر بن عاشور(٦٣) والشنقيطي(٦٤).

---

(٤٨) مجموع الفتاوى (٢٧/١).

(٤٩) درء تعارض العقل والنقل (٣٢٣/٧)، وانظر مجموع الفتاوى (٥٦٠/١)، (٨/٢)، (٥٤/١)، (٦٩/١)، (٧٤٧/١)، (٧٧٢/١)، (٢٢٤/٩)، (٣٣٨/١٥)، (٢٣٥/١٦)، (٢١٩/١٦)، (٤٣٦/١٦)، (٤٧١/١٦)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٨٨/٧)، ومنهاج السنة النبوية (٣١٣/٣).

(٥٠) العقود الدرية (٥٩/١).

(٥١) انظر تفسيره (٦٣/٣)، (٤٥٧/١)، (١٢٦/٢).

(٥٢) أحكام أهل الذمة (١٠٢٥/٢).

(٥٣) جلاء الإفهام (١٧٤/١)، (٤٥٨/١)، ومفتاح دار السعادة (١٩٧/١)، (٢٠/٢)، واجتماع الجيوش الإسلامية (١٨٥/١)، ومدارج السالكين (١٢/١)، (٤٨٧/٣)، وطريق الهجرتين (١٠٤/١)، (١٩٧/١)، (٥١٨/١)، (٦٢٨/١)، وبدائع الفوائد (١٤١/١، ١٤٢)، (٤٢٠/٢، ٤٣٩، ٤٧٢)، وزاد المعاد (٧/٤)، (١٢٠/٥)، والصواعق المرسلة (٤٨٩/١)، (٩٧٠/٤)، والتبيان في أقسام القرآن (٢٦/١).

(٥٤) بدائع الفوائد (٢٥٦/٢).

(٥٥) عدة الصابرين (١٤٢/١)، والتبيان (٧٤/٢)، والروح (٨٥/١).

(٥٦) تفسير ابن كثير (٣١٨/٣).

(٥٧) انظر الدرر (٦١٣/٨)، (٥٨٦/٦)، (٤٤٤/٤)، (٧٤/١)، (٧٠٣/٢)، (٣٩٠/٤)، (٥٤/٦)، (١٢٦/٧)، (٩٣/٧)، (٤٢٨/٨).

(٥٨) البرهان في علوم القرآن (٤٠/١).

(٥٩) الإتقان في علوم القرآن (١٠٨/٢).

(٦٠) روح المعاني (١٤٥/٤).

(٦١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢١٨/٢).

(٦٢) تيسير القرن المنان (٥٤/١)، ٦٩/١)، (٧٤٧/١)، (٧٧٢/١).

(٦٣) التحرير والتنوير، وهو أكثر المفسرين على الإطلاق ذكراً واستعمالاً لعادة القرآن وقد أحصيت له أكثر من مائة موضع ومن ذلك: (٥٧٩/١)، (٣١٣/٢)، (١٢٦/٤)، (١٧٠/٥)، (٢٨١/١٨)، (١١٦/٢١) وتارة يسمي ذلك طريقة القرآن (٦٥/١) وتارة يسميه عرف القرآن (١٢٨/٧).

(٦٤) أضواء البيان (٤١٥/٣)، (٦٦/٣)، (٣٣٩/٢)، (١٣٧/٤)، (٢١٠/٤)، (١٣٦/٩)، (٢٠٠/٧).

ونلاحظ أن الرازي وابن تيمية وابن القيم هم المكثرون من عادة القرآن في مصنفاتهم، ولعل السبب في ذلك يعود إلى كثرة المصنفات المتعلقة بالقرآن لكل منهم، واستعمال الجدل والمناقشة بالقرآن، و الاستطراد في الترجيح، والإكثار من ذكر أوجه القوة والضعف للأقوال، والاستيعاب لأدلة المخالفين والموافقين.

المطلب الثاني: الإشارة إليها من المفسرين

والمقصود بذلك عدم التصريح بذكر عادة القرآن أو مرادفاتها، كسنة القرآن وطريقة القرآن وعرف القرآن، والألفاظ المحتملة كثيرة، ومن ذلك قولهم: "ما يجيء في القرآن" كما في أحكام القرآن لابن العربي[٦٥]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي[٦٦]، وقولهم: "كثيراً ما يتكرر في القرآن" كما في طريق الهجرتين لابن القيم[٦٧]، وقولهم: " تكرر في القرآن "كما في التفسير الكبير للرازي[٦٨]،

والفوائد لابن القيم[٦٩]، وقولهم: " كل ما جاء في القرآن على كذا فمعناه كذا" كما في تفسير السمعاني[٧٠] والتسهيل لابن جزي[٧١]، والمفردات للراغب[٧٢]، والبحر المحيط لأبي حيان[٧٣]، وقولهم: " يكثر في القرآن" كما في أضواء البيان للشنقيطي[٧٤] والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور[٧٥]، وقولهم: " ونظائر ذلك كثيرة" كما في العقيدة الأصفهانية[٧٦]، وجلاء الأفهام لابن القيم[٧٧]، والبرهان للزركشي[٧٨]، وروح المعاني للآلوسي[٧٩]، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور[٨٠]، وشرح العقيدة الطحاوية[٨١].

---

(٦٥) انظر: (١٩٢/٣).

(٦٦) انظر: (٢٥٠/١٠).

(٦٧) انظر: (٢٧٢/١).

(٦٨) انظر: (٤٩/١٣).

(٦٩) انظر: (١٢٩/١).

(٧٠) انظر: (٤٧/٦).

(٧١) انظر: (٥/١).

(٧٢) انظر: (١١٩/١).

(٧٣) انظر: (٢٨٩/١).

(٧٤) انظر: (٣٣٩/٢)، (٤٣٧/٢)، (٦٦/٣)، (٢١٠/٤)، (١٣٦/٩)، (٢٠٠/٧).

(٧٥) انظر: (٢١٠/١٥)، (٢٧٣/٣٠)، (٦٤/٢١)، (٥٣/٢٢)، (٣٥٢/٢٥)، (٣٣٤/٢٨)، (٣٥٠/٣٠)، (٢٤٤/٥)، (١١٣/٨)، (١٨/١٢).

(٧٦) انظر: (١٧٦/١)، ومجموع الفتاوى (٢٢٨/٤)، (٣٠٠/١٥)، (١٣٢/٢١)، (٥٣١/٢٢).

(٧٧) انظر: (٩٤٩/٢)، وعدة الصابرين (١٥١/١)، وانظر: مفتاح دار السعادة (٧٧/٢).

(٧٨) انظر: (٦٢/٤).

(٧٩) انظر: (٢٠٣/١٢).

(٨٠) انظر: (٢٥٧/١)، (١٦٦/٢٩)، (٣٣٢/٢٩).

(٨١) انظر: (٢٢٠/١)، (٤٩٧/١)، (٥٢٤/١).

المطلب الثالث: تتبع الألفاظ والمعاني الواردة في القرآن

وطريقة ذلك: أن يجمع الناظر المواضع التي تكررت فيها المفردة في القرآن إما بواسطة حفظه كما كان يفعل الأولون، أو بالاستعانة بالمعاجم القرآنية، ثم ينظر في كل موضع هل اتفق معناه مع الموضع الآخر أو اختلف، فإن كان اتفق فهو عادة مطردة، وإن كان اختلف في مواضع قليلة فهو عادة أغلبية، وإن كان اختلف في أكثر مواضعه فلا يصلح إدخاله في العادات القرآنية، وهذا ما يتعلق بالعادات اللغوية، أما العادات الموضوعية فهي تقوم على التتبع السابق ثم النظر في سياق كل كلمة وما اتفق في ذلك السياق وما اختلف ثم الوصول للعادة الموضوعية، وهي أشق من العادة اللغوية من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن العادات اللغوية تعتمد على اللفظ أكثر من المعنى وأما الموضوعية فتعتمد على المعنى.

الوجه الثاني: أن العادات اللغوية لاينظر فيها إلى السياق والموضوعية لا بد فيها من النظر في السياق.

الوجه الثالث: أن العلماء المشتغلين بالعادات اللغوية كثير، وأما العادات الموضوعية فأهلها قليل.

المبحث الثاني: أنواع عادات القرآن

إذا تتبعنا عادات القرآن وجدناها لا تخرج عن نوعين:

النوع الأول: العادات اللغوية

والمراد بها ما تكرر كثيراً في القرآن لفظاً وكان على أسلوب واحد، وهذا يعني أن ما اختلف معناه ولو تكرر كثيراً لا يدخل في العادات اللغوية.

وقد تتبعت الألفاظ التي نص المفسرون على تكررها كثيراً، وسموها عادة للقرآن أو أشاروا إلى ذلك، ثم رتبتها على حروف الهجاء، وبينت القواعد المطردة والغالبة، وأتبعت ذلك بالتعليق اليسير عليه بالموافقة أو المخالفة مع التدليل على ذلك.

١- «الآيات عند ذكر الرسول يراد بها المعجزات»(٨٢). عادة أغلبية

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌ ﴾(٨٣) و قال تعالى: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾(٨٤).

---

(٨٢) تفسير القرآن للواحدي (٢/٥٤).

(٨٣) البقرة: ١١٨

(٨٤) الأنعام: ١٠٩

التعليق: وردت الآيات في القرآن على عدة معاني: المعنى الأول: الآيات المسموعة كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾[٨٥]، ويمكن معرفة ذلك من سياق الآيات، كما لو ذكر الإنزال أو التلاوة أو السماع أو تضاف إلى الكتاب أو إلى صدور أهل العلم ونحو ذلك، والمعنى الثاني: أن تكون بمعنى الآيات المشهودة كقوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الآية "[٨٦]، والقرينة الدالة على ذلك السياق، كما لو ذكر التفكر في الخلق ونحو ذلك كما في سورة الروم ولقمان وغافر وفصلت والشورى والأنبياء وغيرها، والمعنى الثالث: أن تكون بمعنى المعجزات: وهو المذكور سابقا، والمعنى الرابع: أن تكون بمعنى العلامة والدلالة على الرب: كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[٨٧]، وقال: ﴿ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾[٨٨] وعلامة ذلك السياق، وعلى ذلك فقول الواحدي بأن الآيات في سياق الرسل تدل على المعجزات ليس غالبا، وهذا يدل على أن السياق يبين المعنى المقصود، وإن كان الغالب أن النزول يقترن بالآيات المسموعة غالبا.

٢ - «أساطير الأولين حيثما جاءت فقائلها النضر بن الحارث بن كلدة»[٨٩].عادة أغلبية

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٩٠].

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٩١] وهذا الإطلاق فيه نظر لأن الضمير جاء بصيغة الجمع "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيهِم"، وإن كان النضر قد قال ذلك في بعض المواضع على ما ذكره جمهور المفسرين، لكن هذا لا يقتضي أن يقوله دائما.

٣ – الأخ «إطلاق اسم الأخ على النظير المشابه معروف في القرآن»[٩٢].عادة أغلبية

- قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾[٩٣]و قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾[٩٤]، والسبب في هذا الإطلاق أن الأصل في كلمة الأخ القرب ومنه آخية الدابة.

---

(٨٥) البقرة:٩٩

(٨٦) الروم:٢٢

(٨٧) يوسف:٧

(٨٨) الكهف:١٧

(٨٩) البرهان للزركشي (١٥٧/١).

(٩٠) الأنعام: ٢٥.

(٩١) الأنفال: ٣١.

(٩٢) أضواء البيان (٤١٥/٣).

(٩٣) الزخرف: ٤٨.

(٩٤) الإسراء: ٢٦.

٤ – «الإنسان» : يراد به كثيراً الكافرون(٩٥).عادة أغلبية

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦)وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ (٩٧)، وسبب ذلك أن هذا من العام الذي أريد به الخصوص أو أن يراد به الإنتقال من الجنس إلى النوع.

٥ – «أمطر» : ما سمى الله مطراً في القرآن إلا عذاباً(٩٨).عادة أغلبية

قال تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(٩٩)، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١٠٠).

وهذا الإطلاق فيه نظر ، لورود المطر بمعنى الرحمة في قوله تعالى : " إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ " (١٠١)، وجاء في الصحيحين عن زيد بن خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا برحمة الله فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بالله مؤمن بالكوكب " (١٠٢).

٦ – « أكثرهم» يعود إلى المشركين(١٠٣).عادة أغلبية

قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١٠٤)، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٠٥)، وهذا يختلف بحسب السياق ، وذلك أن هذا اللفظ جاء في سياق اليهود كقال : ﴿ نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ

---

(٩٥) التحرير والتنوير (٣٠/٣٥٠).

(٩٦) يونس: ١٢.

(٩٧) هود: ٩.

(٩٨) تفسير الرازي (٧/٧٠)، تفسير القرآن للواحدي (٢/٥٤)، المجموع للنووي (٦/٢٠١)، عمدة القارئ للعيني (١٨/٢٤٨).

(٩٩) الأعراف: ٨٤.

(١٠٠) الأنفال: ٣٢.

(١٠١) النساء:١٠٢

(١٠٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، رقم الحديث ٨٤٦، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا رقم الحديث٢٤٠

(١٠٣) التحرير والتنوير (٢٤/٢٢٩).

(١٠٤) المائدة: ١٠٣.

(١٠٥) الأنعام: ٣٧.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠٦]، وجاء في سياق المسلمين من الأعراب في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١٠٧]، وإن كانت باقي الآيات جاءت في ذكر المشركين.

٧ - «التّحمّل» مخصوص في عرف القرآن بالتكليف[١٠٨].عادة مطردة

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[١٠٩]وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾[١١٠]، والتعليق على هذا أن يقال: ورد التحمل في القرآن بمعنى التكليف في أربعة مواضع، وكلها تدل على ما ذكره الفخر الرازي.

٨ - «التّسبيح» في القرآن يعني الصلاة[١١١].عادة أغلبية

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[١١٢]وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[١١٣]، والتعليق أن يقال أكثر ما جاء التسبيح في القرآن بمعنى التنزيه كقول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[١١٤]، ، وقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[١١٥]، وقوله: " دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَتَحِيّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ الآية "[١١٦]، ومجيئه بمعنى الصلاة مختلف فيه، وإن كان ذلك هو الغالب.

٩ - «التقوى» في عرف القرآن مختصة بالإيمان[١١٧].عادة مطردة

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[١١٨]وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ

---

(١٠٦) البقرة:١٠٠

(١٠٧) الحجرات:٤

(١٠٨) تفسير الرازي (١٢٩/٧).

(١٠٩) البقرة: ٢٨٦.

(١١٠) النور: ٥٤.

(١١١) لباب التأويل للخازن (٤٥/١).

(١١٢) آل عمران: ٤١.

(١١٣) مريم: ١١.

(١١٤) البقرة:٣٠

(١١٥) الإسراء:٩٣

(١١٦) يونس:١٠

(١١٧) تفسير الرازي (١٧٣/٧).

(١١٨) البقرة: ١٩٧.

﴿ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[119]، والسبب في ذلك أن التقوى جاءت في القرآن مقترنة بالحديث عن المؤمنين.

١٠ - «الذين آمنوا» أي المسلمين في عرف القرآن[120].عادة أغلبية

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[121]

وقال تعالى: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[122]، ويستثنى من ذلك الآيات الواردة في صفات المؤمنين كأول الأنفال والمؤمنون وسأل سائل وآية الذاريات، فإن هؤلاء الآيات لا يمكن أن تكون في المسلمين، ويمكن بيان ذلك بتقسيم الإيمان إلى إيمان المحسنين وإيمان المسلمين، أما الأول فتحمل عليه الآيات الواردة في صفات المؤمنين من ذكر الخشوع وترك اللغو ونحو ذلك، وأما إيمان المسلمين فتحمل عليه الآيات الواردة في نجاة المؤمنين من العذاب، والثناء المجمل عليهم.

١١ - «الرسول» في القرآن يعني محمداً[123]. عادة أغلبية.

قال تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[124]وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾[125]، وهذا هو الغالب إلا في ثلاثة مواضع: الأول: قال تعالى: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾[126]، والثاني قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[127]، والثالث: "فقبضت قبضة من أثر الرسول".

١٢ - «زعم» في كل موضع ذم للقائلين[128].عادة مطردة

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[129]وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[130].

---

(١١٩) المائدة: ٢.

(١٢٠) التحرير والتنوير (٥٣٢/١).

(١٢١) يونس: ١٠٣.

(١٢٢) يوسف: ٥٧.

(١٢٣) البحر المحيط (٤٣٧/٦).

(١٢٤) البقرة: ١٤٣.

(١٢٥) النساء: ١١٥.

(١٢٦) المزمل:١٦

(١٢٧)يوسف:٥٠

(١٢٨) مفردات القرآن للأصفهاني (٢١٣/١)، والكليات للكفوي (٤٨٨/١).

(١٢٩) النساء: ٦٠.

(١٣٠) الأنعام: ٢٢.

الأصل في الفعل " زعم " أي قال ، ولذلك كان سيبويه كثيرا ما يقول زعم الخليل ، ولكنه غلب على القول العاري عن الدليل ، وقد جاء القرآن بذلك في جميع المواضع.

١٣ - «الضلال» جاء في القرآن بمعنى الهلاك(١٣١).عادة أغلبية

قال تعالى﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾(١٣٢)وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾(١٣٣)، والأصل في كلمة الضلال الغياب تقول العرب : ضل الماء في اللبن أي غاب(١٣٤)، وعلى ذلك فمعنى ضل فلان أي هلك ، ولأن الضلال مستلزم للهلاك.

١٤ - «الظلم» يأتي كثيراً بمعنى الشرك(١٣٥).عادة أغلبية

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾(١٣٦)وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾(١٣٧)، لأن الظلم وضع للشيء في غير موضعه، والشرك وضع للعبادة في غير موضعها، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(١٣٨). وقد جاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قَالَ لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ "لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ" بِشِرْكٍ أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.(١٣٩)

١٥ - «في سبيل الله» أكثر ما جاء في القرآن يعني به الغزو(١٤٠).عادة أغلبية.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ﴾(١٤١)و قال تعالى: ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾(١٤٢)، ومن أعظم الأدلة على ذلك آية الزكاة : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ

(١٣١) التفسير الكبير للرازي (١٢٠/١٧).

(١٣٢) الأعراف: ١٤٩.

(١٣٣) الأعراف: ٣٧.

(١٣٤) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٥٦/٣.

(١٣٥) أضواء البيان (٢٠٠/٧).

(١٣٦) البقرة: ١٦٥.

(١٣٧) البقرة: ٢٥٧.

(١٣٨) لقمان:١٣

(١٣٩) رواه البخاري كتاب الأنبياء، رقم الحديث٣٣٦٠، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الايمان باب صدق الايمان رقم الحديث٣٤٢

(١٤٠) تفسير الرازي (٧٠/٧)، والمجموع للنووي (٢٠١/٦)، وتفسير القرآن للواحدي (٥٤/٢).

(١٤١) البقرة: ١٥٤.

(١٤٢) النساء: ٩٤، وانظر: التسهيل لابن جزي (١٥٣/١).

قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١٤٣].

والسبيل هو الطريق، والمقصود بسبيل الله طريق الله، وهي ترد في القرآن على معنيين:

الأول: الجهاد في المعركة، وهذا يتبين من خلال السياق، وخاصة إذا ذكر القتال، فإنه لا يحمل إلا على قتال المعركة، وكذلك إذا وردت النفقة في سبيل الله، وأما إذا ورد الجهاد مفردا فإنه يحمل على جهاد النفس أو اللسان، كقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[١٤٤].

١٦ - «كاف الخطاب» كل ما في القرآن من خطاب للنبي فالمراد به أمته[١٤٥].عادة أغلبية.

قال الطاهر عاشور: عادة القرآن في كل تحذير مهم أن يكون خطاباً للنبي [١٤٦]، قال تعالى: ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[١٤٧]وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[١٤٨]، والأصل في هذا أن خطاب الله لنبيه هو خطاب لأمته ما لم يدل السياق على خلاف ذلك.

١٧ - «الكفار» يعني الكفار بالله وهي عادة القرآن ولم يأت في موضع قط أنهم الزراع[١٤٩].عادة مطردة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ ﴾[١٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[١٥١]، وكما أن المراد بالمؤمنين يعني بالله، فكذلك الكفار يراد بهم الكفار بالله.

١٨ - «كلا» بمعنى كذبت[١٥٢].ليست أغلبية

قال تعالى: ﴿ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾[١٥٣]وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾[١٥٤]. ومن

---

(١٤٣) التوبة: ٦٠

(١٤٤) العنكبوت:٦٩

(١٤٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٠/١٠).

(١٤٦) التحرير والتنوير (٤٠/٢).

(١٤٧) المائدة: ٦٧.

(١٤٨) الأنعام: ٢٥.

(١٤٩) عدة الصابرين لابن القيم (١٤٢/١)، فقد قال:" والصحيح إن شاء الله أن الكفار هم الكفار بالله وذلك عرف القرآن حيث ذكروا بهذا النعت في كل موضع ولو أراد الزراع لذكرهم باسمهم الذي يعرفون به كما ذكرهم به في قوله يعجب الزراع وإنما خص الكفار به لأنهم أشد إعجابا بالدنيا فإنها دارهم التي لها يعملون ويكدحون فهم أشد إعجابا بزينتها وما فيها من المؤمنين"، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أنهم الزراع، وعادة القرآن تأبى ذلك والعلم عند الله.

(١٥٠) البقرة: ١٦١.

(١٥١) الرعد: ٤٢.

(١٥٢) تفسير السمعاني (٤٧/٦).

(١٥٣) مريم: ٧٩.

(١٥٤) سأل سائل: ١٥.

تأمل كلا وجد أنها تأتي على معنيين: الأول: النفي، وهذا يختلف باختلاف السياق، فإن كان الحديث عن أمر منفي حسن مجيء "كلا" النافية، كقوله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾(١٥٥)، وقال: ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(١٥٦)، الثاني الإثبات بمعنى حقا أو الاستفتاح، وهذا كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾(١٥٧)، وقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾(١٥٨)، وهناك مواضع جرى فيها نزاع بين أهل التفسير كقوله: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾(١٥٩)، وقال: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾(١٦٠).

وقال ابن هشام في مغني اللبيب: وهي عند سيبويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين حرف معناه الردع والزجر لا معنى لها عندهم إلا ذلك...ثم قال: ورأى الكسائي وأبو حاتم ومن وافقهما أن معنى الردع والزجر ليس مستمرا فيها، فزادوا فيها معنى ثانيا يصح عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال أحدها للكسائي ومتابعيه قالوا تكون بمعنى حقا، والثاني لأبي حاتم ومتابعيه قالوا تكون بمعنى ألا الاستفتاحية، والثالث للنضر ابن شميل والفراء ومن وافقهما، قالوا: تكون حرف جواب بمنزلة إي ونعم، وحملوا عليه (كَلاَّ وَالقَمَرِ) فقالوا معناه إي والقمر، وقول أبي حاتم عندي أولى من قولهما لأنه أكثر اطرادا"(١٦١)

١٩ - «محضر» بمعنى معاقب(١٦٢).هذه عادة أغلبية

قال تعالى: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾(١٦٣)وقال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾(١٦٤).

الأصل أن كلمة حضر ضد غاب، وهي لا تدل على العذاب إلا بالعرف الغالب كما هو الحال في مواضع من القرآن، والذي يظهر أن المقصود حضور العذاب وعليه دلالة السياق، إلا في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾(١٦٥)، وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾(١٦٦).

---

(١٥٥) مريم:٧٨، ٧٩

(١٥٦) المؤمنون:١٠٠، ١٠١

(١٥٧) النبأ:٤، ٥

(١٥٨) القيامة:١٩، ٢٠

(١٥٩) الفجر:١٧

(١٦٠) العلق:١٩

(١٦١) ٢٥٠/١

(١٦٢) التحرير والتنوير (٦٤/٢١).

(١٦٣) المؤمنون: ٩٨.

(١٦٤) يس: ٥٣.

(١٦٥) يس: ٧٥

(١٦٦) آل عمران: ٣٠

٢٠ - «المسرفون» يطلق على الكفار(١٦٧).هذه عادة أغلبية.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٦٨)وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٦٩).

الأصل في الإسراف التعدي ومجاوزة الحد(١٧٠)، يقول الراغب: السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر(١٧١)، ومن تتبع مواضع السرف في القرآن وجدها تعم السرف المالي وغيره، كالسرف في القتل والذنوب، كما قال تعالى: " فَلا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ " (١٧٢)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾(١٧٣)، وعلى ذلك فإن السرف شرعا هو: مجاوزة الحدِّ في الأقوال والأفعال(١٧٤)، والكافر يدخل في ذلك دخولا أوليا، لأنه تجاوز حده فأعرض عن ربه وأحيانا يأتي السرف ولا يدل على الكفر كقوله﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾(١٧٥).

٢١ - «المجرم» يجيء في القرآن كثيراً بمعنى الكافر(١٧٦).

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١٧٧)وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١٧٨)، الأصل في الإجرام الوقوع في الشيء العظيم، ولا أعظم من جرم الكافر.

٢٢ - «الوعظ» يطلق كثيراً على الأوامر والنواهي(١٧٩).عادة أغلبية

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾(١٨٠)

---

(١٦٧) أضواء البيان (٤/٢١٠).

(١٦٨) يونس: ٨٣.

(١٦٩) الأنبياء: ٩.

(١٧٠) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس(٣/١٥٣)والصحاح٢٣٠وبصائر ذوي التمييز(٣/٢١٦).

(١٧١) انظر:المفردات للراغب٢٣٠.

(١٧٢) الإسراء:٣٣

(١٧٣) الزمر:٥٣

(١٧٤) انظر القاموس الفقهي(١/١٧٠) ومما فيه عند الحنفية: هو استعمال الشيء فوق الحاجة الشرعية وتجاوز الحد في النفقة و إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس و عند الظاهرية: كل نفقة نهى الله عنها.

(١٧٥) الأعراف:٣١

(١٧٦) تفسير القرآن (٤/٥٥٩).

(١٧٧) الأنعام: ٥٥.

(١٧٨) الأنعام: ١٤٧.

(١٧٩) أضواء البيان (٢/٤٣٧).

(١٨٠) النساء: ٥٨.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾(١٨١).

ومن مجيئه بمعنى التذكير دون الأحكام قوله تعالى: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة".

وسبب ذلك أن الوعظ هو الإخبار بما يذكر العبد، وأعظم ما يذكر المكلف الأوامر الشرعية، ومن تأمل خطاب الله لم يجد انفصالا بين الوعظ والأحكام، كما في السور المدنية كالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة وغيرها، فإن الوعظ ظاهر فيها، والوعظ هو التخويف ،وذكره بعد الأحكام تذكيرا لعظمتها وتخويفا من تركها، و يأتي بمعنى الأحكام أحيانا.

٢٣ - «وقع» أكثر ما جاء في القرآن جاء في العذاب والشدائد(١٨٢).عادة أغلبية

- قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ ﴾(١٨٣) وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ ﴾(١٨٤)، ويستثنى من ذلك قال تعالى: " فقد وقع أجره "(١٨٥).

٢٤ - « عبادي» يراد بهذا اللفظ المسلمون في الغالب (١٨٦).عادة أغلبية.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ ﴾(١٨٧)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾(١٨٨)، والذي يظهر أن المقصود بالعباد هنا وفي أشباهه المؤمنون، لأن عبودية المسلمين لا تقتضي ترك العمد في الكبائر، بخلاف عبودية المؤمنين، ولذلك وصفهم في مواضع بصفات المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾(١٨٩)، وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا ﴾(١٩٠).

٢٥ - ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾الغالب أنهم المكذبون(١٩١).أغلبية.

---

(١٨١) النحل: ٩.

(١٨٢) أحكام القرآن لابن العربي (١٩٢/٣)، والكليات للكفوي (٢٩٨/١).

(١٨٣) الأعراف: ٧١.

(١٨٤) الأعراف: ١٣٤.

(١٨٥) النساء: ١٠٠

(١٨٦) تفسير الرازي (٤١٤/١٧)، (١٧٣/٢٧)، وتفسير القرآن للواحدي (١٠/٦)، والسراج المنير للشربيني (٦٧٥/٣)، والتحرير والتنوير (٣٩/٢٤).

(١٨٧) البقرة: ١٨٦.

(١٨٨) الحجر: ٤٢.

(١٨٩) الصافات:٤٠

(١٩٠) المؤمنون: ١٠٩

(١٩١) التحرير والتنوير (٣٥٠/٣٠).

قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾(١٩٢)، وقال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾(١٩٣)، وكان سؤالهم سؤال تعنت واستبعاد، لا سؤال استرشاد.

النوع الثاني: العادات الموضوعية:تعريفها

ما تكرر معناه في القرآن كثيراً، وكان على أسلوب واحد.

وهذه العادات تختلف عن سابقتها من حيث المعنى و الحكم والصعوبة والعدد، أما المعنى فإن النظر السابق كان للألفاظ وهنا النظر للمعاني، وأما الحكم فإن هذه العادات غالبا ما تكون غير مطردة ولا غالبة ويكون الاقتران لسبب في السياق أدى إلى ذلك كما سيأتي، وأما الصعوبة فإن معرفة العادات الموضوعية يشترط له معرفة المترادفات في القرآن ومواضعها وسبب اقترانها، وهذا عزيز عند المفسرين بل هو نادر، وأما العدد فإن العادات اللغوية منصوص عليها عند كثير من العلماء وحصرها ممكن، وأما الموضوعية فلم ينص عليها إلا قليل من العلماء، وقد اجتهدت وبذلت وسعي لاستخلاص العادات الموضوعية. ورتبتها هذا النحو:

١ – عادات القرآن في الاقتران

وهو أن يقرن كثيراً بين شيئين في القرآن سواء كانا كلمتين أو موضوعين، وتحت كل قسم أمثلة كثيرة، ولم أقف على أحد جمع بين المقترنات في القرآن وبين سبب ذلك، فأرجو أن أكون قد سننت سنة حسنة.

القسم الأول: أن يقرن بين كلمتين: وله نوعان: النوع الأول: اقتران كثير: ومقصوده أن تقترن إحدى الكلمتين بالأخرى في غالب المواضع: مثل أن يقرن بين الصلاة والزكاة، وبين العليم والحكيم، وبين السميع والعليم، وبين السميع والبصير، وبين الغفور والرحيم، وبين الإيمان بالله واليوم الآخر، وبين عبادة الله وبر الوالدين، وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وبين السموات والأرض، وبين الشمس والقمر، وبين الليل والنهار، وبين الإحياء والإماتة، وبين البشير والنذير، وبين الدنيا والآخرة، وبين الإيمان والتقوى، وبين السمع والبصر، وبين الإنس والجن، وبين الحسنة والسيئة، وبين الخوف والحزن، وبين الولي والنصير، وقصة عاد وثمود.وسبب هذا الاقتران يعود إلى أشياء:

١- المقابلة كمقابلة الليل والنهار، والشمس والقمر، والإحياء والإماتة، والدنيا والآخرة، والحسنة والسيئة، والإنس والجن، والبشير والنذير، والإيمان والتقوى، والصلاة والزكاة.

٢- التلازم كتلازم الإيمان بالله واليوم الآخر، وتلازم الإيمان وعمل الصالحات، وتلازم عبادة الله وبر الوالدين، وتلازم الولاية والنصرة والمغفرة والرحمة.

٣- للقرب الزمني أو اشتراكهما في معنى دل عليه السياق ما كقصة عاد وثمود، والسميع والبصير،

(١٩٢) الأعراف: ١٨٧.

(١٩٣) النازعات: ٤٢.

والعليم الحكيم والسمع والبصر.

والنوع الثاني: اقتران قليل: ومقصوده أ ن تقترن الكلمتان في بعض المواضع:

١– الاقتران بين الكفر والنفاق[١٩٤]: قال تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[١٩٥]، وقال تعالى﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[١٩٦]، ووجه الاقتران: التشابه في الباطن، والتعاون على الإثم والعدوان.

٢ – الاقتران بين التوراة والإنجيل وبين القرآن[١٩٧]: قال تعالى﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[١٩٨]وقال ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾[١٩٩]، ووجه ذلك كمالها وقرب أنبيائها وبقاء أتباعها، وحدوث الصراع بين أصحابها.

٣ – الاقتران بين الحمد والمجد[٢٠٠]: قال تعالى ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[٢٠١]، وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[٢٠٢]، قال ابن القيم في جلاء الأفهام: " والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود فمن أحببته ولم تثن عليه لم تكن حامدا له حتى تكون مثنيا عليه محبا له، ثم قال: وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام، والله سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: لا اله إلا الله والله أكبر، فلا اله إلا الله: دال على ألوهيته وتفرده فيها، فألوهيته تستلزم محبته التامة، والله اكبر: دال على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تعظيمه وتمجيده وتكبيره، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيرا"[٢٠٣].

٤ – الاقتران بين الظاهر والباطن[٢٠٤]:

قال تعالى﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[٢٠٥]. والتزود إنما يكون للظاهر، ولكنه هنا أشار للتزود

(١٩٤) مجموع الفتاوى (٥٤/٧).

(١٩٥) النساء: ١٤٠.

(١٩٦) التحريم: ٩.

(١٩٧) الجواب الصحيح (٢٤١/٥)، مجموع الفتاوى (٤٥/١٦).

(١٩٨) آل عمران: ٣.

(١٩٩) التوبة: ١١١.

(٢٠٠) جلاء الأفهام لابن القيم (٣١٧/١).

(٢٠١) هود: ٧٣.

(٢٠٢) الإسراء: ١١١.

(٢٠٣) الرحمن: ٢٧ انظر جلاء الأفهام لابن القيم(١: ٣١٦)وانظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم(ص٥٧).

(٢٠٤) إغاثة اللهفان (٥٨/١).

(٢٠٥) البقرة: ١٩٧.

الحقيقي، وقال ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾[٢٠٦]، ووجه ذلك أن اللباس يشمل لباس العورة ولباس القلب، والثاني يكسى بالتقوى.

٥ – الاقتران بين «القلب والبصر» في الذكر[٢٠٧]: قال تعالى ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[٢٠٨]، وقال ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[٢٠٩]، ووجه ذلك أن البصر دليل القلب وقائده.

٦ – الاقتران بين الضلال والشقاء وبين الهدى والفلاح[٢١٠]: قال تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢١١]، وقال ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[٢١٢] ووجه ذلك أن الهدى يراد به هنا العلم، ويراد بالفلاح العمل، ويراد بالضلال: بالعلم، ويراد بالشقاء: بالعمل.

٧ – الاقتران بين السمع والبصر والفؤاد[٢١٣]: قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢١٤]، وقال ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ ﴾[٢١٥]، ووجه ذلك أنها طرق العلم ومصادره وأبوابه.

٨ – الاقتران بين النشأتين[٢١٦]: قال تعالى﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢١٧]، وقال ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾[٢١٨]، ووجه ذلك التذكير بإحدى النشأتين على الأخرى.

٩– الاقتران بين العبادة والاستعانة[٢١٩]: قال تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢٢٠]، وقال ﴿ فَاعْبُدْهُ

---

(٢٠٦) الأعراف: ٢٦.

(٢٠٧) مفتاح دار السعادة (١٠٥/١).

(٢٠٨) الحشر: ٢.

(٢٠٩) الأنعام: ١١٠.

(٢١٠) مدارج السالكين (١٤/١).

(٢١١) البقرة، لقمان: ٥.

(٢١٢) طه:١٢٣

(٢١٣) مدارج السالكين (٤٠٩/٢).

(٢١٤) النحل: ٧٨.

(٢١٥) الأعراف: ١٧٩.

(٢١٦) التبيان في أقسام القرآن (١٢٤/١).

(٢١٧) الواقعة: ٥٨– ٦١.

(٢١٨) الإنسان: ٢٨.

(٢١٩) تفسير ابن كثير (٢٠٠/٢)، مجموعة الفتاوى (٦٩/١).

(٢٢٠) الفاتحة: ٥.

وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[٢٢١]، ووجه ذلك أن الاستعانة وسيلة العبادة وبابها فلا عبادة إلا بالاستعانة وهذا معنى لا حول ولا قوة إلا بالله أي لا تحول عن شيء إلى شيء ولا قوة على العبادة إلا بالله، يقو ل ابن تيمية في وجه الجمع بينهما: وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ بَلْ كُلُّ حَيٍّ بَلْ وَكُلُّ مَخْلُوقٍ سِوَى اللَّهِ هُوَ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ إلَى جَلْبِ مَا يَنْفَعُهُ وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ، وَالْمَنْفَعَةُ لِلْحَيِّ هِيَ مِنْ جِنْسِ النَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ؛ وَالْمَضَرَّةُ هِيَ مِنْ جِنْسِ الْأَلَمِ وَالْعَذَابِ؛ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: هُوَ الْمَطْلُوبُ الْمَقْصُودُ الْمَحْبُوبُ الَّذِي يُنْتَفَعُ وَيُلْتَذُّ بِهِ، وَالثَّانِي: هُوَ الْمُعِينُ الْمُوَصِّلُ الْمُحَصِّلُ لِذَلِكَ الْمَقْصُودِ وَالْمَانِعُ مِنْ دَفْعِ الْمَكْرُوهِ[٢٢٢].

١٠ – الاقتران بين الاستغفار والرجوع إلى الله [٢٢٣]: قال تعالى﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[٢٢٤]، وقال ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾[٢٢٥]، ووجه ذلك أن الاستغفار دليل الرجوع والتوبة.

١١ – الاقتران بين خلقه للخلق وإثبات علمه[٢٢٦]: قال تعالى﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٢٢٧]، وقال ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢٢٨]، ووجه ذلك أن الخلق بلا علم لا يصح.

القسم الثاني: أن يقرن بين موضوعين:

وهذا القسم أعظم فائدة من الأول وأدق منه، وقد أشار إليه قليل من المفسرين كابن تيمية وابن القيم و عبد الرحمن بن سعدي ومحمد الطاهر بن عاشور و الشنقيطي.

وقد اجتهدت لأحصي المواضيع المقترنة وأرتبها، وبذلت وسعي لبلوغ ذلك:

النوع الأول: اقتران الوعد بالوعيد وله صور:

الصورة الأولى: اقتران الجنة بالنار: وهذا في سور كثيرة كالبقرة[٢٢٩] والنساء[٢٣٠] والأعراف[٢٣١]

---

(٢٢١) هود: ١٢٣.
(٢٢٢) مجموع الفتاوى١/٢٣
(٢٢٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٣٩٤).
(٢٢٤) ص: ٢٤.
(٢٢٥) هود: ٦١.
(٢٢٦) تفسير السعدي (١/٤٨).
(٢٢٧) الملك: ١٤.
(٢٢٨) البقرة: ٢٩.
(٢٢٩) البقرة: ٢٤/٢٥.
(٢٣٠) النساء: ٥٦/٥٧.
(٢٣١) الأعراف: ٤٤.

ويونس[٢٣٢] وغيرها ولا سيما السور المكية ، والصورة الثانية : اقتران أحوال المكذبين بأحوال المؤمنين.

كما في سورة الأعراف[٢٣٣] وهود[٢٣٤] والشعراء[٢٣٥] والصافات[٢٣٦] وغافر[٢٣٧].

وفي ذلك يقول الشاطبي : " ومنه ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار ، وبالعكس ؛ لأن في ذكر أهل الجنة بأعمالهم ترجية ، وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفًا ؛ فهو راجع إلى الترجية والتخويف.

الصورة الثالثة : اقتران الخوف بالرجاء : قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[٢٣٨] وقال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢٣٩] وقد أشار كثير من أهل العلم إلى حسن هذا الاقتران مثل الطاهر بن عاشور، فقد قال : " فلما ذكر الكفار وأعمالهم و أوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق "[٢٤٠] ، وفي «الكشاف» : من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف الأعمال الصالحة[٢٤١].وقال ابن كثير في تفسيره : " قال القرطبي : إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب كما قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال : فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب ، ويقول أبو حيان في تفسيره : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ بنى أولاً على الترغيب ، وثانياً على الترهيب. كقوله : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ و﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾.وقد أشار إلى هذه الفائدة الرازي في تفسيره قبل أبي حيان[٢٤٢].

النوع الثاني : اقتران الربوبية بالألوهية : قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢٤٣] فالحمد لله توحيد

(٢٣٢) يونس: ٢٦، ٢٧.

(٢٣٣) الأعراف:٨٩/٩٠.

(٢٣٤) هود:٦٦/٦٧.

(٢٣٥) الشعراء:١١٩/١٢٠.

(٢٣٦) الصافات:٥١/٥٢.

(٢٣٧) غافر:٩/١٠.

(٢٣٨) الحجر: ٤٩ – ٥٠.

(٢٣٩) المائدة:٩٨.

(٢٤٠) التحريروالتنوير(١/٢٥٠).

(٢٤١) الكشاف(١/١٣٣).

(٢٤٢) انظر البحر المحيط (٣/١٢٥)، ومفاتيح الغيب (١/١٣٤٧).

(٢٤٣) الفاتحة: ١.

الإلوهية، ورب العالمين توحيد الربوبية، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ﴾[٢٤٤]. وفي ذلك يقول المقريزي[٢٤٥]: "وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية "ويقول أبو السعود في تفسيره: "وفي الجمع بين عنوان الألوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير مالا يخفى"[٢٤٦].

النوع الثالث: اقتران قصة موسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام[٢٤٧]: قال تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ ﴾[٢٤٨]، وقال: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِىَ مِثۡلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ﴾[٢٤٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ ثم قال: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلۡنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ﴾[٢٥٠]، ووجه ذلك قرب العهدين وتشابه الأمتين ودخول المؤمنين الجنة منهما.

النوع الرابع: اقتران الكتاب المشتمل على أعمال العبد بالقرآن: قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَـٰبُ ﴾ ثم قال: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِى هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[٢٥١]، وقد نبه على ذلك ابن حجر[٢٥٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِى لِلَّتِى هِىَ أَقۡوَمُ ﴾، ثم قال: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[٢٥٣]لمنزلة الكتابين، وأثرهما في الحال والمآل، ولأن كتاب الأعمال إذا خلي من الإيمان بالقرآن والعمل به هلك صاحبه.

النوع الخامس: اقتران الإعراض عن التفكر بالشرك بالله: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَـٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ﴾، ثم قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾[٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ ثم قال: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡ ﴾[٢٥٥]، لأن هذا موضع تعجب ودهشة إذ كيف يعرض العبد عن التفكر في هذا الملكوت الذي لا يغفل عن رؤيته والشعور به لحظة، وكيف يجهل العبادة التي يستحقها صاحب هذا الملكوت.

---

(٢٤٤) البقرة: ٢١، وانظر: تفسير الطبري (١٦٠/١).

(٢٤٥) تجريد التوحيد للمقريزي في تجريد التوحيد.

(٢٤٦) تفسير أبي السعود ٢٧٢/١.

(٢٤٧) تفسير ابن كثير عند أول سورة الإسراء(٤٦/٥).

(٢٤٨) الجن: ٣٠.

(٢٤٩) القصص: ٤٨.

(٢٥٠) الأنعام: ٩١ — ٩٢.

(٢٥١) الكهف: ٤٩، ٥٤.

(٢٥٢) فتح الباري (٦٨٦/٩).

(٢٥٣) سورة الإسراء:٩، ١٣.

(٢٥٤) البقرة: ١٦٤ — ١٦٥.

(٢٥٥) الأنعام: ٩٥- ١٠٠.

النوع السادس: اقتران الحروف المقطعة بالحديث عن القرآن: وهذا ظاهر في سورة البقرة وآل عمران والأعراف وهود ويوسف والحجر وإبراهيم و الحواميم، ووجه ذلك أن الحروف المقطعة مادة القرآن المكونة له، فلماذا يعجز الناس عن تحدي القرآن كما كانوا يفعلون مع الشعراء؟ والجواب أن هذا القرآن ليس من كلام البشر إلا في حروفه ولكن مصدره هو الله، وهذا مطرد في كل سور القرآن إلا في العنكبوت والروم فلم يذكر فيها القرآن، والجواب عن ذلك أنه ورد فيهما خبر يصدق القرآن، وورد بعدهما ذكر الإيمان، وهو دليل على القرآن أو يقال أن العادة أغلبية.

النوع السابع: إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعداً ووعيداً باعثاً على العمل: وهذا ظاهر في السور المدنية(٢٥٦)، وسببه التنشيط للعبادة وطرد السآمة: قال تعالى ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ﴾(٢٥٧) بعد آية الوضوء، وقال ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾(٢٥٨) بعد آيات المواريث.

النوع الثامن: اقتران النصر بالهدى(٢٥٩): قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾(٢٦٠)، وقالتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾(٢٦١)، ووجه ذلك أن الهداية تعني هداية التوفيق، وهي مقترنة بالنصر لأن المهتدي منصور بحجته وفي عاقبته.

٢ – عادات القرآن في التقرير

المقصود بذلك بيان منهج القرآن في الاستدلال، وهذا له أنواع، من أشهرها:

النوع الأول: تقرير التوحيد ونفي ضده: وقد كان خطاب القرآن عن توحيد الرب من طريقين الأول: الحديث عن وجود الرب والثاني توحيد الألوهية:

١ – وجود الله: والمقصود به إثبات وجوده عن طريق الفطرة والإقرار، وعادة القرآن الموضوعية لا تخرج عن هذين الطريقين: قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(٢٦٢) و ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٢٦٣).

---

(٢٥٦) البرهان للزركشي (٤٠/١)، والإتقان للسيوطي (١٠٨/٢)، والتحرير والتنوير (١٩/٢٢)، (١٦٦/٢٧– ٢٣٠).

(٢٥٧) المائدة: ٧.

(٢٥٨) النساء: ١٣.

(٢٥٩) بدائع الفوائد (٢٥٣/٢).

(٢٦٠) الأنفال: ٤١.

(٢٦١) الأنبياء: ٤٨.

(٢٦٢) إبراهيم: ١٠.

(٢٦٣) لقمان: ٢٥.

٢- توحيد الألوهية: عادة القرآن في إثبات الألوهية: وهي مأخوذة من الخطاب القرآني الذي يأتي بأسلوبين فتارة يكون التقرير من الرسل وتارة يكون من الله:

أ) حديث الرسل مع أقوامهم: وذلك أن الرسل دعت إلى الألوهية كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٢٦٤].وهذه العادة الموضوعية مطردة حيث أن الرسل لم يزالوا يدعون قومهم إلى التوحيد، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٢٦٥]، وغالب هذا الخطاب أن يجيء بصيغة الأمر، لأنه أمر مقرر مفروغ منه.

ب) خطاب الله للمشركين وهو: الاستدلال بالربوبية على الألوهية كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[٢٦٦]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢٦٧]، ووجه ذلك أن الربوبية تستلزم الألوهية وتقتضيها، لأن المتفرد بالخلق هو المنعم الأول فاستحق العبادة قبل غيره، والذي لم يخلق لا يستحق العبادة.

٣- عادة القرآن في إبطال الشرك: وهي عادة مطردة مفادها: عجز الشركاء عن الخلق والتصرف:

أ) الآيات الدالة على عجز الشركاء عن الخلق: قال تعالى ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٢٦٨]وقال ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٢٦٩]، وهذا لا يكاد يهمل بل ما ذكر الله الشرك وأهله إلا فضحهم بذكر عجزهم وضعفهم وذلتهم.

ب) الآيات الدالة على عجز الشركاء عن التصرف في الكون بالنفع والضر والإحياء والإماتة:

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[٢٧٠]وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٢٧١].

النوع الثاني: تقرير النبوة[٢٧٢]: وقد جاءت الأدلة في القرآن ظاهرة بينة على أن الرسول حق، ومن ذلك:

---

(٢٦٤) الأنبياء: ٢٥.

(٢٦٥) النحل: ٣٦.

(٢٦٦) فصلت: ٥٣.

(٢٦٧) آل عمران: ٦.

(٢٦٨) الفرقان: ٣.

(٢٦٩) الأعراف: ١٩١.

(٢٧٠) النمل: ٧٩- ٦٤.

(٢٧١) سبأ: ٢٢.

(٢٧٢) مما يفيد في هذا الباب: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد. سعود العريفي ص٤٥٠، عالم الفوائد. السعودية ١٤١٩هـ ..

أ) الآيات الدالة على إخباره بالمغيبات: وهذا كإخباره بتفاصيل اليوم الآخر، وإخباره بقصص الأنبياء، والأمم السابقة، وما سيحدث في المستقبل كالحرب بين فارس والروم.

ب) الآيات الدالة على خرق العادة: مثل انشقاق القمر والإسراء والمعراج.

جـ) الآيات الدالة على أن النصرة والعاقبة لأتباع الأنبياء: قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾(٢٧٣)، و قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ ﴾(٢٧٤).

د) الآيات الدالة على أوصاف الأنبياء وأخلاقهم:

والمقصود بها أن من نظر في أحوال الرسل وصفاتهم، وقارن بينها وبين صفات السحرة والكهان والشعراء ظهر له الفرق، وكل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه وكان منصفا أثنى عليه ووصفه بمحاسن الأخلاق، وإذا كان الأمر كذلك فكيف تحسن أخلاقه مع الناس وتسوء مع الله.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾(٢٧٥)وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢٧٦).

هـ – الآيات الدالة على مضمون الرسالة ومحاسنها: قال تعالى: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٢٧٧) وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ﴾(٢٧٨).

النوع الثالث: تقرير البعث: وهذه العادة لم تتخلف في أي سورة بل كانت قائمة على الدليل العقلي و النقلي وذلك من خلال الأدلة الآتية:

الدليل الأول: قياس الإعادة على البدء: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢٧٩)وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾(٢٨٠)، وإذا كان الناس مقرين بالبدء فعليهم أن يقروا بهما.

---

(٢٧٣) التوبة: ٥٢.

(٢٧٤) الحشر: ٢.

(٢٧٥) العنكبوت: ٤٨.

(٢٧٦) يس: ٢١.

(٢٧٧) الصافات: ٣٧.

(٢٧٨) فصلت: ٣٣.

(٢٧٩) الروم: ٢٧.

(٢٨٠) الواقعة: ٦٠.

الدليل الثاني: قياس الإعادة على ما هو أبلغ منها: قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾(٢٨١) وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾(٢٨٢). وهذا الاستبعاد الذي أثاره المشركون لا وجه له، لأن الخلق يقرون بالخلق العظيم للكون فكيف يستبعدون جزءا بسيطا منه.

الدليل الثالث: قياس الإعادة على إحياء الأرض الميتة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾(٢٨٣) وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾(٢٨٤).

وهذا هو القياس بنفي الفارق لأن الأرض كانت ميتة ثم أنزل الله عليها الماء فحييت فكيف يعجز فاعل ذلك عن إحياء الناس وقد صاروا فراتا أليسوا مثل الأرض الميتة.

الدليل الرابع: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر: كقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾(٢٨٥)، وهذا رد على الذين استبعدوا الحياة من التراب فيقول الله لهم أليس الذي أخرج النار من الشجر الأخضر قادرا على ذلك.

الدليل الخامس: قياس الإعادة على إحياء الأموات في الدنيا: قال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾(٢٨٦)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾(٢٨٧)، وقد حدث هذا لكل مولود فإنه يكون ميتا أي عدما ثم ينتقل من ظهر والده إلى بطن أمه، وأيضا قد جرى لبنيئ إسرائيل قصة الذي ضرب بلحم البقرة فنطق بعد أن مات وقد تناقلها الناس.

النوع الرابع: أمر المؤمنين بالأحكام الشرعية: وقد اجتهدت في هذا النوع ورتبته من خلال هذا المنهج القرآني لبيان الأحكام الشرعية: وهو على النحو الآتي:

١ – البسط والاختصار: نجد في القرآن بعض الأحكام مفصلة وبعضها مجملة، فأما المفصلة كالنكاح والطلاق والعدد والميراث، وأما المجملة كالصلاة والزكاة والصيام والحج والبيوع والحدود والجنايات والإيمان

(٢٨١) غافر: ٥٧.

(٢٨٢) يس: ٨١.

(٢٨٣) فصلت: ٣٩.

(٢٨٤) الحج:٦

(٢٨٥) يس:٨٠

(٢٨٦) البقرة: ٢٨.

(٢٨٧) البقرة: ٥٥.

والنذور والأنفال، وسبب ذلك إما التعبد وقد امتحننا الله فيه، وإما منع النزاع والخلاف، وأكثر ما يقع ذلك في الأموال و الأبضاع .

٢ – ربط الأحكام بالمقاصد وهذا كثير ولاسيما في سورتي النور والطلاق.

٣ – ربط الأحكام بالمواعظ وهذا أمر لا تنفك عنه الآيات ولاسيما السور المدنية.

النوع الخامس: الحجاج والمجادلة مع أهل الأديان الباطلة: وقد أمر الله بالمجادلة بالتي هي أحسن، وهي تأتي في القرآن: إما من خطاب الله للمشركين وأهل الكتاب، أو خطاب الرسل لقومهم، فأما خطاب الله للمشركين ففيه دعوتهم للإيمان بالله تعالى عن طريق البراهين التي تقرر التوحيد، وفيه أيضاً دعوتهم للإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم عن طريق البراهين السابقة في تقرير النبوة، وفيه أيضاً عيب الآلهة المزعومة وعبادتها، وأما خطاب الله لأهل الكتب ففيه دعوتهم للإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، ونقض أديانهم المحرفة، وبيان ما فعله أحبارهم وأجدادهم.

وأما خطاب الرسل لقومهم ففيه ما سبق، وحسن التودد لهم، واثبات خوف الرسل على قومهم وهناك فنون كثيرة للجدل في القرآن[٢٨٨] نجدها في جدال إبراهيم عليه السلام مع أبيه و النمرود ومع قومه، وجدال شعيب عليه السلام وكذا موسى ونوح[٢٨٩].

النوع السادس: أحوال السياسة الداخلية والخارجية: وهذا ظاهر في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة، وذلك أن في البقرة إقامة الدولة وحفظ البناء الداخلي والخارجي، فأما الداخلي فإنما يكون بسن التشريعات، وأما النظام الخارجي فيكون بمعرفة الأعداء، وسورة آل عمران تكشف هؤلاء الأعداء، وفي سورة النساء تبين الحقوق، وفي الأنفال والتوبة بيان العدو الداخلي والعلاقة معه، والعدو الخارجي والعلاقة معه.

هذا فيما يتعلق بالنظم والقوانين، أما ما لم يرد فيه شيء فإن مرجعه إلى القواعد العامة المستنبطة من أصول الشريعة وعند الاحتمال أو التردد أو الخلاف ننتقل إلى الشورى.

٣– عادات ا لقرآن في أخباره: الخبر الأول: عن الجنة والنار: وقد كثر الحديث في القرآن عن الجنة والنار لما يترتب على ذلك من الفعل والترك، وكان حديث القرآن عن الجنة والنار متصفا بهذه المعالم

١- البسط والاختصار: وذلك أن ذكر الجنة والنار يتفاوت من موضع إلى آخر، فنراه في مواطن مختصراً وفي مواضع أخرى مبسوطا، والسبب في ذلك يعود - والعلم عند الله – إلى مقصود السورة، فإذا كان المقصود الأحكام أو المجادلة أو النبوة فتجد الاختصار، وهذا ظاهر في البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف

---

(٢٨٨) انظر: الإتقان للسيوطي (٤/ ٥٢).

(٢٨٩) انظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم لابن الحنبلي (٦/١).

والأنفال والتوبة ويونس وهود ويوسف. وأما إذا كان المقصود التهديد أو ذكر يوم القيامة فتجد البسط، وهذا ظاهر في سور المفصل.

٢- ذكر أعمال أهل الجنة وأعمال أهل النار: وهذا ظاهر في كل آية يأتي فيها ذكر الجنة والنار، فإن الشرط في ذلك أن يذكر العمل الموجب لهاتين الدارين.

٣- مزج الأخبار بالموعظة والتخويف: قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾(٢٩٠)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾(٢٩١)، وغيرها كثير مثل الأعراف وهود وإبراهيم والحجر والكهف ومريم وطه، وقلما يذكر الله قصة إلا وفيها الوعظ والتذكير.

الخبر الثاني في القصص: وقد كان حديث القرآن عن القصص يقوم على هذه المعالم:

١- بيان مواطن العبرة والاتعاظ دون ذكر التفاصيل التي لا حاجة إليها أو يمكن معرفتها من السياق:

ولذلك نجد القصص تختلف من سورة لأخرى في الأقوال دون الأعمال، مثل قصة آدم اختلفت الأقوال ولكن أصل القصة متفق بين جميع المواطن، وكذلك بقية قصص الأنبياء، وأظهر شيء على ذلك قصة يوسف عليه السلام حيث جاءت في موطن واحد، واقتصرت على العبرة فقط، فلم يذكر فيها شيء عن بداية ولادة يوسف، ومن أرضعته ولماذا كرهه أخوانه وكيف رموه في البئر، وما هو الدم الذي وضع على قميصه إلى آخر هذه التفاصيل الكثيرة، والتي لا يتعلق بها حكم، ولكن بعض النفوس الخالية عن العمل تحب هذه التفاصيل، فجاءت في أخبار بنيء إسرائيل لمحبتهم لذلك.

٢- البيان والتعليق على أحداث القصة، وهذا لا تكاد سورة فيها قصص تخلو منه:

وهذا البيان يكون في مواطن في أثناء السورة وفي مواطن أخرى في آخر السورة.

أما الأول فإن منهج القرآن في ذلك لا نظير له، حيث إنه يربط بين أحداث القصة وما يفعله أهل مكة كقوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾(٢٩٢)

---

(٢٩٠) سورة الأعراف:٤٤-٥٨

(٢٩١) سورة هود:١٠٣

(٢٩٢) هود:٨٣

وأحيانا يبين أسباب الفعل كقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾[(٢٩٣)]، وأحيانا يقرن بين عملين، وغالبا يكون ذلك بلفظ "وَكَذَٰلِكَ" كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٢٩٤)].

وأما البيان والتعليق بعد ختام القصص فلا تخلو منه سورة، ومنهج القرآن في ذلك لا يخلو من ثلاثة:

الأول: المقارنة بين ما يفعله أهل مكة وبين الأمم السابقة وقرن الأمور بأسبابها كخاتمة الأعراف ومريم وطه

الثاني: بيان منهج النصر كخاتمة هود ويوسف والأنبياء والقصص.

الثالث: التهديد والوعيد الأكيد كخاتمة إبراهيم والكهف والنمل.

٣ – عدم ذكر أسماء الأشخاص الواردين في القصص غير الأنبياء إلا نادراً:

كفرعون وقارون وهامان وهؤلاء من الكفار، وأما المسلمون فلم يذكر إلا زيد بن حارثة رضي الله عنه، والسبب في عدم ذكر الأسماء حتى تتعلق أحكام الآيات بأفعال هؤلاء دون أسمائهم، وللتعميم.

٤ – البسط والاختصار: وهذا يختلف حسب مقصود السورة، ففي سورة يونس نجد قصة نوح وموسى أكثر من قصة يونس عليهم الصلاة والسلام، وفي سورة الأعراف نجد قصة موسى أطول من جميع الأنبياء، وفي سورة يوسف نجد البسط، ولكل شيء من ذلك أسبابه فوقت النزول له أثر في ذلك وحاجة الناس كذلك.

٥ – بيان سبب العقوبة وهي الأقوال والأفعال: قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴾[(٢٩٥)]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[(٢٩٦)]

وكما في سورة الأعراف ويونس وهود والأنبياء والشعراء والقصص.

وبذلك نكون قد أتينا على أهم ما ورد في القرآن من العادات اللغوية والموضوعية.

---

(٢٩٣) الأعراف:٦٩

(٢٩٤) يوسف:٢١

(٢٩٥) سورة الأعراف:٦٤

(٢٩٦) يونس:٧٥

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وقد بلغنا نهاية هذا البحث الذي تناولنا فيه عادات القرآن اللغوية والموضوعية وقد خلصت إلى هذه النتائج :

١- لا تشترك العادات اللغوية والموضوعية مع غيرها من العلوم كالوجوه والنظائر والمترادفات والمشتركات إلا في التكرار، وإنما تشترك مع المفردات التي يتناولها العلماء بالتفسير مثل مفردات غريب القرآن ووجه الاشتراك في تتبع المفردات فقط أما الوصول إلى عادة مطردة أو أغلبية فلا يوجد إلا في العادات اللغوية والموضوعية، وأما الكليات فإن الاشتراك بينها وبين العادات من حيث العادات اللغوية التي تذكر عند أصحاب الكليات فقط وهم يبحثونها من حيث اللغة.

٢- بدأ هذا العلم مبكرا في زمن الصحابة والتابعين للدلالة على أهميته والحاجة إليه، ثم تطور حتى دخل مع المفسرين وتناولوه بالبحث والمناقشة ثم انتقل إلى أهل اللغة ومن هذين الفريقين انتشر حتى صار فنا من فنون علوم القرآن.

٣- كانت العناية بالعادات اللغوية أكثر من العناية بالموضوعية وهذا لا يعني الجهل بها بل إنها تشبه من بعض الوجوه كثيرا من العلوم التي لم تدون في الزمان الأول لعدم الحاجة إليها كالنحو والأصول.

٤- لا يدرك أهمية العادات القرآنية إلا من جربها ومارسها ومن أراد أن يعرف ذلك فلينظر إلى العارف بالقواعد الفقهية والأصولية وانتفاعه بهما.

٥- تتم معرفة العادات القرآنية من خلال طريقين أحدهما علمي والآخر عملي يدوران حول الأخذ عن الأولين والاجتهاد.

٦- تناولنا عددا من العادات اللغوية وقد بلغت خمسة وعشرين مفردة وفيها المطرد وغيره والمفردات كثيرة قد ذكر أكثرها الكفوي في الكليات وحصرها صعب جدا.

٧- حاولت أن أضبط العادات الموضوعية فجعلتها في ثلاث عادات :

الأولى : عادة القرآن في الاقتران : وجعلتها على قسمين اقتران الكلمتين والموضوعين.

الثانية : عادة القرآن في التقرير : وجعلتها في ستة أشياء التوحيد والنبوة والبعث والأحكام الشرعية والمجادلة والسياسة.

الثالثة : عادة القرآن في الأخبار : وجعلتها في أخبار الآخرة وأخبار الدنيا.

ولا زال الباب مفتوحا للباحثين لبيان المعاني المتروكة، والله أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المراجع

[١] *الإتقان في علوم القرآن:* للسيوطي، دار التراث، القاهرة.

[٢] *اجتماع الجيوش الإسلامية لغزو الجهمية والمعطلة:* لابن قيم الجوزية، .

[٣] *أحكام القرآن:* لابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٤] *أحكام القرآن:* للشافعي، دار الكتب العلمية، ١٩٩١.

[٥] *أحكام أهل الذمة:* لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٦] *أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن:* لمحمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية١٩٨٨، القاهرة.

[٧] *الأموال:* لابن زنجويه، مكتبة الشقري، الرياض.

[٨] *البحر المحيط:* لأبي حيان، دارالفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م

[٩] *بدائع الفوائد:* لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الفكر، القاهرة.

[١٠] *البرهان في علوم القرآن:* للزركشي، ط١، ١٩٩١، دار المعرفة، بيروت.

[١١] *التبيان في أقسام القرآن:* لابن القيم، دار الفكر، بيروت.

[١٢] *التحرير والتنوير:* للطاهر بن عاشور، دار سحنون، ١٤١١تونس، ه،

[١٣] *تفسر الثعالبي*، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.

[١٤] *تفسير القرآن العظيم:* لأبي الفداء ابن كثير، ط١.دار طيبة، ١٩٩٧

[١٥] *معالم التنزيل:* للبغوي، ط٣، ١٩٩٢، دار المعرفة، بيروت، .

[١٦] *تفسير السمرقندي*، دار الفكر، بيروت.

[١٧] *تفسيرالقرآن:* لأبي المظفر السمعاني، دار الوطن، ط١. ١٩٩٧، الرياض

[١٨] *التفسير الكبير:* للرازي، ط١، ١٩٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

[١٩] *تهذيب اللغة:* لأبي منصورالأزهري، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠١، بيروت.

[٢٠] *تيسير الكريم المنان في تفسير الرحمن:* لعبدالرحمن السعدي، دار المدني، ١٩٨٨، جدة، السعودية.

[٢١] *جامع البيان:* للطبري. مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة، القاهرة.

[٢٢] *جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام:* لمحمد بن لأبي بكر بن قيم الجوزية، دار عالم الفوائد، ١٤٢٥.

[٢٣] *الدر المنثور:* للسيوطي، دار الفكر، بيروت.

[٢٤] *درء تعارض العقل والنقل:* لابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، الرياض، ١٩٩١.

[٢٥] *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:* للبقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣.

[٢٦] *روح المعاني:* لشهاب الدين الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٩٨٥، بيروت.

[٢٧] *الروح:* لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت

[٢٨] *زاد المعاد:* لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط ١٤، ١٩٨٦، بيروت.

[٢٩] *السراج المنير:* للخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، ط، ٢٠٠٤، بيروت.

[٣٠] *شرح صحيح مسلم:* للنووي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

[٣١] *الصواعق المرسلة:* لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٢، الرياض

[٣٢] *طبقات فحول الشعراء:* لمحمد بن سلام الجمحي، دار المدني، جدة، السعودية.

[٣٣] *طريق الهجرتين:* لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦

[٣٤] *عدة الصابرين:* لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨.

[٣٥] *عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري:* لبدر الدين العيني، دار الفكر، ٢٠٠٥، بيروت.

[٣٦] *قواعد الترجيح عند المفسرين:* لحسين الحربي، دار القاسم، ط١، ١٩٩٦، الرياض.

[٣٧] *الكليات:* لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨.بيروت

[٣٨] *لباب التأويل في معالم التنزيل:* للخازن، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.

[٣٩] *لسان العرب:* لابن منظور. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.

[٤٠] *مجموع الفتاوى:* لابن تيمية، جمع محمد بن قاسم.

[٤١] *المجموع شرح المهذب:* للنووي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٩٥.

[٤٢] *الكتاب المصنف في الحاديث والآثار:* لأبي بكر ابن أبي شيبة، دار التاج، ط١، ١٩٨٩، بيروت.

[٤٣] *المصنف:* لعبد الرزاق الصنعاني، دار الفكر، بيروت.

[٤٤] *مغني اللبيب:* لابن هشام، دار نشر الكتب الإسلامية، ط١، ١٩٧٩، لاهور، باكستان.

[٤٥] *مفتاح دار السعادة:* لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٤٦] *مفردات ألفاظ القرآن:* للراغب الأصفهاني، دار القلم، ط١، ١٩٩٢، دمشق.

[٤٧] *مناهل العرفان في علوم القرآن:* لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

Quran's Frequently Pronounced Words and Meanings

Dr. Shafy S. AL-Ajmi
College of Sharia
Quwait University

(Received 20/4/1431H.; accepted for publication 3/7/1431H.)

Abstract. Verily All Praise is due to Allah the lord of Al-'Alamin (all that exists) and may His peace and blessings be upon prophet Muhammad (peace be upon him).

To Proceed:

(When looking into the Quran) there are frequently repeated words and meanings which are joined together with other knowledge such as:

1. Al-Wajooh (when you have a word with multiple meanings)
2. An-Nadha'ir (when you have different words with similar meanings)
3. Al-Mutaradifat (when you have different words with the same meaning)
4. Al-Mushtarakat (when you have the same word with different meanings in one ayat)

When you take a closer look (into these subjects) you find that there are some common pronunciations or similarities (which are only found in specific words in the Quran). And when you attempt to create a general foundation (for this study) you find it isn't possible in any other book except for the Quran.

As for the Generality in this subject, then the joining together of the general subject and the oft repeated words have been checked and researched by the main people of knowledge in this field of language.

And this knowledge had been applied early in the time of the Companions and At-Tabi'een (The generation after the Companions). And this is a proof that shows its importance and that it is in dire need. Then it developed (over time) with the Scholars of Quran. (i.e. Mufasireen). After that it moved on to the scholars of Language, and from these two parties it was spread until it became a specific category in the study of Quran.

As time passed the interest and study in the pronunciation in the quran became more popular than the study of those meanings that are repeated. And this doesn't mean that they didn't understand the other subject, but it was because of the lack of need in this subject that you find it wasn't written down. Like for instance Arabic Grammar.

And we can come to know the repeated pronunciations of the Quran from two particular paths: Al-'Almi (By Knowledge) and Al-'Amili (By its application).

These two came to be by the earlier generations and by Ijtihad (i.e. reaching an Islamic conclusion from texts).

Now we've focused in this research on 25 particular words. But there are many more which are mentioned by Al-Kafawi. So I attempted to organize these into three categories.

1. The repeated connections in the Quran
   (and this I've further split into two sub-catagories)
   a. The connection between two words
   b. The connection between two subjects
2. The type of conclusions that are repeated in the Quran
   (and this subject I've split into six sub-catagories)
   a. At-Tawheed (monothesism)
   b. An-Nabuwah (prophethood)
   c. Al-Ba'th (The resurrection)
   d. Al-Ahkam Ash-Shareeyah (The Rulings On Islamic Law)
   e. Al-Mujadalah (Argumentation)
   f. As-Siyassah (Politics)
3. Those repeated areas in the Quran that inform about this world and the After-Life.

And this subject is still open for further research (from any experts or scholars in these fields.)

And Allah knows best, and may His peace and blessings be upon His Slave and Messenger Muhammad (peace be upon him) and upon his family and companions.